# هكذا كلّمني الشرقُ

## موسمُ الشّهادة

محمد بنيس

تخطيط: عبد الوهاب البوري

قلت لمراكش أن تستوطننا
هذا زمن تتزاوج فيه
الأزمنة السفلى والعليا يكتب
ما لا يكتب قام الماء وهب الخلق
يوسع خضرته انساق اليوم مع
الأعاصير تشقق ما بين الكتفين
فسرح
عينك
رافقها
مراكش تعلن فرجتها
المسروجة بالأحواز بعض السنة

بالبرنوس يحجّ المداية بالتهليل
يجمع العلقة بالملعون بأحجام
الطوب الأحمر بالأسوار بآيات
ولّت من تاريخ مغبونٍ تعنّ الشفرة
هُرِّب في سفرٍ رسميٍّ تشحني في
الهجرة من وهميٍّ تشتكي هضابُ
الأرض صعوداً يخطفني بابٌ
لا نوم له يتلألأ عند المنعطف
الخلفيّ

هَا هُوَ عُرْسِي يَغْسِلُ نَعْشِي
هَا هُوَ عَرْشِي
هَا هُوَ مِعْرَاجِي يَنْزِلُ حَتَّى يَلْتَحِفَ
بِالقَدَمَيْن
هَا هُوَ سِرُّ الثَّقَلَيْن
هَا
هُوَ
هَا
وَتَرَاءَتْ رَاحِلَةٌ تَسْأَلُ ضَوْءاً مِنْ نَخْلَتِهِ
اتَّكَأَتْ أَلْوَانُ الشَّمْسِ عَلَى صَمْتِي

ومشيتُ هُدُوءاً تسبقها أفواهُ
منازلهم زغردتْ لها حتّى انكسرتْ
وبكتْ أرقاً أطرافُ أصابعهم
تشقّتْ بالصّبرِ رُطوبةَ هذا القبْوِ
فهلْ تعلمُ يا يوسفُ أنّكَ في نَفْسِ
الأسْرِ تُجالِسُها وتُغنّي مِنْ طرب
الملحُونِ لها تهتزّ شعبيّةً ترملُ
زغردانَ لها

كانتْ تستحضرُ بيتاً
ونخلٌ يخرجُ منْ فُروعِ الماءْ
وكانتْ تستندُ زيادةً [illegible]
وحصونٌ يسكنُ جفنها [illegible]

وكانتْ تُغنّي
لعلّي قلتُ لها مرّةً
لهذي الرّياحِ انعِقاضٌ وصوتُكِ
سُلّمُها
لعلّي قلتُ لها مرّةً
لهذي الرّياحِ مصبٌّ وصوتُكِ منبعُها

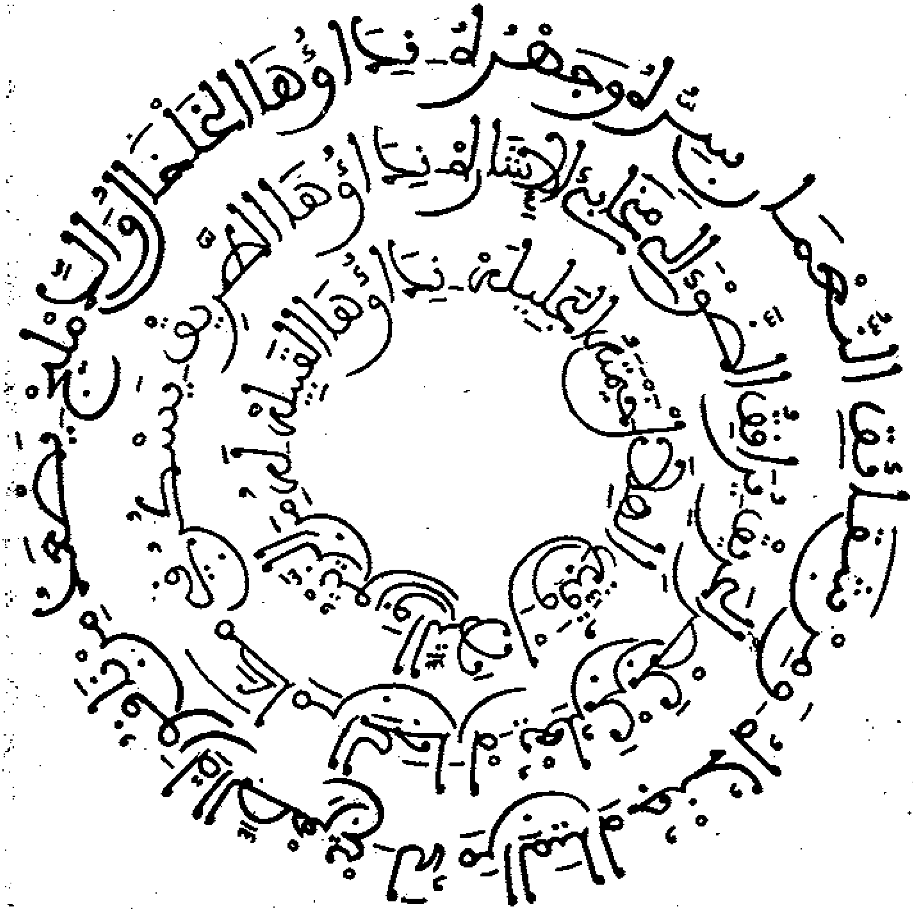

واستنفرنا ما كان لنا من عشق مرّ بنا في
الخضرة نهر سبو فسال لناءُ المطهر
قالت لي التربة هذا المنشورُ الماءُ أتاني
يوما فانبسطت أرض وانشقت أخرى
جاء فشق الضّوّ بين الماء بحفرة إذ ناحت
تائبة يشربه موالاة وأغصان منّي
ما آواها من منكم يجتاز الآن معي
فصل اليمنة تلقاءُ سعيداتٍ يلقاها
جهات الضوءِ
تحيطُ
بها
والطّين
يتعالى
سُهَا
حتّى سوّاها
لا تنتظروا عُنفًا يأتيكُم
أنتم عنفي
سُبحانك من أهداها الفرحة
خالطَ فيها الحيرة زمن

فيها الزُّرقةُ قالَ لها كوني - نهراً
وسلاماً واستنهضها من لآها
مَطْهَرُ كُنْ
هُنا
الماءُ البُنّيُّ
يَقولُ النّهرُ هُنا لا قَبْوَ ولا
حُفرةَ مدٍّ وعمنا لالألأنْ
بِنا يَعْصِفُ مَجْنَرُ الوُإلَيْعَل

تقدّمْ أيّها القلبُ الجميلُ لعلّ هذي الأرضَ
تفسحُ روضَها واحفرْ ثبوتَ الجُرمِ أنتَ
الشاهدُ المفتونُ بالوَهَنِ البهيِّ وبالبريقِ
عندَ بابِ النّهرِ في فيضانِهِ
كلُّ نبيءٍ بما يُريدُ لكُمْ من الأخلاقِ
هذا الطّائراتُ عمري ولي قلبٌ يُطلُّ
على نخيلٍ حالمٍ جمعتْ بلادُ الشّمسِ عوسجَها
وحطّتْ عندا مُرتفعٍ تقاومُ جُندَهمْ
وعنادَهُمْ ورأيتُها تقولُ لنا تقدّمْ إنّني
اخترتُ البقاءَ بسفحِ هذا الأطلسِ
اختاروا حنينًا فاجعًا من صُلبِهِ
مِتُّ شهادةَ قلبي
وقلتُ الكونَ للأحياءْ
ورثتُ شهادةً قبلي
ولي منها تقاطعُ مَطلعِ الأنواءْ
كيف التقينا؟ ليسَ هذا أصلُنا
لماذا نلتقي؟ حُلمٌ يُغطّينا ويُدفئُنا
حُلمٌ
وساعاتٌ مُضيئةْ

تتسابقُ الأيّامُ في ركنٍ تمادى بين
الدواخل تحتفر كذالك يا عيني التي
أخضرتني رجلي تطاول نصفها
وتساقطت خطواتها الأخرى
ثم ينداح في الوطن القريب أنينهم
يأتون من أمرٍ يشيّع موتانا خوفا
ويُعلن عن جنازتنا بمرسوم القصاص
وعن أحياء يطوفون الشوارع بالعصيّ
وبالبنادق لا تقل من أين جئتم يسألون
عن الحضارة وانتهاك الأمر ينتظرون
عند الدرب فوق السطح يجمع
بعضهم هذا هو المسؤول يُرمى
في دهاليز تغازلني الحكاية كهرباءُ
لهجةُ استنطاقهم قلقٌ تصرّمُ
ليلةً في السقف عاشرةً على حبلٍ من
الحلفاء طاولةٌ وآلاتُ التقاطِ صورةٍ
رقمُ مراقبةٍ ملفٌ حاقرُ منعُ الكلامِ
استسلموا أمرٌ

تجاسرْ أيُّها القلبُ المعمَّدُ بالترابِ
وَبِي رِهَانْ
كهرباءُ كهرباءُ غيبةٌ جوعْ
وزنزانهْ
قالتْ أنا حكمُ
نسلّمَ قلبُها عطشانهْ
تلكْ ضفائرُها طيوراً ها هربتْ
مِنْ صمتِها
وتعلقتْ نخلاً

فجاءَ سبعُ وجاءَ نْ قاسُ جاءَ الشاعِرُ المجنونْ
هاهُمْ نبيُّ رحلةٍ وآيةٍ لها يتسلّمونْ

مَالَتْ بِي فَرْحَتُهَا الغَجَرِيَّةُ تُغْرِقُنِي تَنْسَلُّ
إِلَى أَعْمَاقِي
حُنْجُرَتِي
رِئَتِي
قَدَمَيَّ
يُشَمِّسُنِي هَذَا المَلَكُوتُ الطَّالِعُ مِنْ
إِشْرَاقَةِ حَضْرَتِهَا فَأَرُمُّ عِشْقِي عِنْدَ التُّرْبَةِ
يَنْهَضُ بِي قَدَمٌ يَمْتَدُّ طَرِيقٌ تَنْفِرُ عَنْ أَدْرَانٍ
تَتَرَامَى ضِحْكَتُهَا بَيْنَ الأَحْرَاشِ تَقَدَّمْ يَا
وَجْهِي هَذِي الأَعْشَابُ تُعَبِّرُ صُورَتَهَا
وَتَقَدَّمْ لَا تُمْهِلْ عَيْنَيْكَ فَتِلْكَ مَفَاتِنُهَا
لَنْ أَفْتَحَ مِزْلَاجَ المَلَكُوتِ
تَقَدَّمْ هَا هِيَ
سَطْحُ المَاءِ فَلَا يَبْقَى غَيْرُ المَمْنُوعِ
مِتْرَاسٌ
حِيطَانٌ أَرْبَعَةٌ
قُضْبَانٌ
لَوْنٌ مَغْمُوقٌ
بَرْدٌ
وَقَلِيلٌ مِنْ صَوْتِ الأَحْبَابِ

قا
جاءتني ع
سُ حيطُ النو
قالتْ دعوني جاءَة
تْ بأنّا مِنْ أنغامِ
أسرارٍ وأقبلتْ حروفٌ [illegible]
الورد الأخضرُ [illegible]
الأرضُ [illegible] العشقَ [illegible]
البرُّ [illegible] تشعلُ [illegible]
البناءُ النجمُ [illegible]
وعادَ الآنَ [illegible]
ى عتبةِ الوحشةِ تتقدّمُ
سَ حتّى
خطوتُ [illegible]
وقوساً فوقه قوساً
كفّها [illegible]
لكفّها [illegible] منشغقةُ البنوّة
وسِعةُ [illegible]
سَهَا الوقتُ [illegible]
مِنْ [illegible] الطين
[illegible] قالتْ
مَنْ برجلي في [illegible]
[illegible] كان [illegible]
وصُحبتها [illegible] فالتقينا
سْ وتكسّرَ [illegible] يختفي ويضغرُ
تمو [illegible] العمرُ في أعيادِ البلاد
حتّى سقطَ [illegible] وبعثةٌ لم أستشرْ منْ [illegible]
كلمةٌ [illegible] كتاباً قرأتُ الناسَ لكنْ ما
ولم أقرأْ ولم أكُ [illegible] فأَفا
والنبات أيتها الأعشابُ [illegible] منّي
تشائين. النيّةُ والرغبةُ ما عشتُ ولكنّه
فبكى صوتٌ على نفسي
أخافتني بنغمةٍ مِنْ
[illegible] الـ
مع

لاَمَسَ صَوْتَه الرِّيحُ تلاَمسنيِ الأَخْبارُ
بغيِّرْ وجهَكَ للمَاءِ الطَّافِحِ
مِنْ أُقْدَامِكَ مَا بقِيتْ منْهَا إلاَّ أُفُقُ
أنوارٌ شاهِدَاتٌ

هنَا قبرٌ مغلُولٌ في أُنْغاءِ الصَّوتِ
تربَّعَ وشْمًا ورَسَا في
عينِكَ علاَمَ النَّبْع
بمُرَّاكُشَ حيثُ
النَّاسُ شكوكٌ
يأخُذُهُم
ظِلُّ الرَّغيف
الشَّعْـ
ـبِـ
ـي